حركات اليد ودلالاتها البلاغية في التعبير القرآني

د. بشرى عبد المجيد تاكفراست

جامعة القاضي عياض– مراكش/ المغرب

الملخص:

حث القرآن الكريم القارئ على تدبره وتأمله، ليدرك عظمة خلقه للكون وللبشر، وقد اختار البحث أن يتأمل عضوا من أعضاء الإنسان، فكانت "اليد" وما يصدر عنها من حركات، ومختلف الوظائف التي تؤديها، والأساليب البيانية التي جاءت فيها... موضوع الدرس والتأمل، فتتبع البحث كلمة " اليد" بمختلف حركاتها في مختلف كتب اللغة والبلاغة والتفسير التي اهتمت بالتعبير القرآني، سواء أكانت يد الله عز وجل أو أيدي الأنبياء عليهم السلام لينتهي إلى مختلف دلالات حركات اليد في القرآن الكريم، وتم تذييل هذا العمل بمجموعة من النتائج.

الكلمات المفاتيح: التعبير القرآني– اليد وحركاتها – الدلالة البلاغية.

Abstract:

The holy quran urged the reader to ponder contemplate it, to realize the greatness of the creation of the universe and humans. And the research has chosen to contemplate a member of the human body that is the "hand" and what comes out of its movements, the various functions performed, and the methods that it came in ... as the subject of study and meditation. The research followed then the word "hand" and its different movements in various books about language, rhetoric and interpretation, that focused on the quranic expression, whether it is the hand of Allah Almighty or the hands of the prophets peace be upon them, to end up with the different connotations of the hand movements in the holy quran as a conclusion.
Key words: Quranic expression- The hand and its movements- Rhetorical connotation.

المتن:

تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء وظائف اليد ودلالاتها ومعانيها في القرآن الكريم، باعتبارها وسيلة من وسائل التعبير الحسي التي استخدمها التعبير القرآني للدلالة على مدى

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

واسع من المعاني والتعبيرات، هذا الاستخدام يجعل كلمة اليد تتعدى معناها الأول إلى دلالات مختلفة ومتباينة .

وتكتسي كلمة اليد هذه الأهمية من وظيفتها واستخداماتها ودلالات معانيها المتعددة، قلَّ أن يوجد لفظ أو كلمة يمكن أن تحظى بما حظيت به داخل التعبير القرآني، فاليد تقوم مقام اللسان أو تشترك معه في التعبير عن المشاعر الداخلية للإنسان من رضا وسخط أو قبول ورفض أو تعجب واستنكار، وهذه الطريقة في التعبير بلغة الإشارة قد تكون أحيانا أبلغ من اللغة المنطوقة...

إن استقراءً بسيطا لكلمة "اليد" في مضان كتب المعاجم اللغوية[1] يمكنك من القول بتعدد مدلولات هذا اللفظ، فهي تطلق في اللغة على عدة معان. يقول أهل البيان: إن بعضها حقيقة، وبعضها من المجاز أو الكناية، فتطلق على الجارحة وعلى النعمة والقدرة والملك والتصرف و السلطان و المجاعة و الندم والاستسلام و الإحسان والمنَّة وغير ذلك... وعلى هذا الأساس فقد أسهمت هذه المعاجم بنصيب وافر في تحديد معاني اليد" لما قدمته من تأصيل واسع لهذا اللفظ، من حيث استعمالاتُه وشواهدُه، وجدورُه اللغوية وضبطُ حروفه، وما طرأ عليه من تغيير حين انتقاله من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي.

ونحن نقف على عتبة دلالات "اليد" في القرآن الكريم نلحظ أنها استخدمت فيه استخداما واسعا نخرج منه بمعالم جديدة للنظام القرآني المتفرد في تناول الكلمة، وما يترتب عن تناولها من دلالات متنوعة بتنوع السياق والموضع.

والواقع أن كلمة "اليد" قد وردت في القرآن الكريم سبعا ومائة مرة إلى جانب ألفاظ أخرى مشتقة منها جاءت ثلاث مرات ويمكن إدراجها على هذا النحو الآتي:

- كلمة أيديهم: 37 مرة، يديه:17 مرة، يده: 08 مرات، يدك:07 مرات، يدي:07 مرات أيديكم: 06 مرات، يد:05 مرات، أيدي :05 مرات، أيدينا:03 مرات، يدي:03 مرات. يداه:03 مرات، أيديهما: مرة واحدة، أيد: مرة واحدة، يديها: مرة واحدة، يداك: مرة واحدة، يدا: مرة واحدة، كلمة أصابع مرتين، أنامل مرة واحدة.

وقد وردت كلمة "اليد" ومشتقاتها في القرآن الكريم بدلالات مختلفة متباينة فهي:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

- تدل على الإنفاق، بل إن وضعها حال الإنفاق ذاته يدل على نوعية هذه النفقة إن كانت تبذيرا أو تقتيرا.
- وتدل على البطش وتدل على التنكيل.
- وتدل على الحسرة أو الندامة.
- وتدل على الاستسلام.
- وتستعمل"اليد" للسلام، وكذلك رفعها يعبر عن الاستسلام بينما وهي مقبوضة تدل على القوة.
- و"الأيدي" هي وسيلة الإنسان ليزرع ويأكل ويكتب ويقوم بجميع مظاهر الحياة.
- و"اليد" هي التي تملك وتتصرف بل إن ما يملكه الإنسان هو ملك يمينه.
- والأيدي مناط الحساب كله يوم القيامة على ما قدمت، فهي التي تُلقي بصاحبها إلى التهلكة أو ترفعه...

ولا شك أننا إذا أمعنا النظر داخل التعبير القرآني فإننا سنجد كلمة "اليد" تتوزع بين أن تكون هذه "اليد" متعلقة بالله عز وجل أو يدي الملائكة الكرام، أو أيدي الأنبياء عليهم صلوات الله، أو أنها تحمل دلالات ومعان أخرى مختلفة.

أولا: يد الله عز وجل

إن الحديث عن هذه "اليد" التي لا نعرف كنهها ولا طبيعتها، ولا يحيط بها علمنا ولا تستطيع عقولنا المخلوقة إلا أن تؤمن بها كما وردت في القرآن الكريم دون تأويل أو تعطيل لأنها يد الله سبحانه وتعالى الذي:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[2] وردت يد الله عز وجل في القران الكريم سبع عشرة مرة:

- فالفضل بيد الله يمن به على من يشاء من عباده :﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3]
- والخير بيده عز وجل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

- وبيده عز وجل الملكوت:﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[5] ﴿ بَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.﴾[6]
- والرياح يرسلها الله عز وجل بين يدي رحمته فيرحم بخيرها من يشاء من عباده، وقد اقتضت قدرته سبحانه وتعالى أن تكون الرحمة ملازمة ومصاحبة ليد الله حين يرسل الرياح وفي هذا بعث للبشرى والأمل في نفوس العباد:﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[7] ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا ﴾[8] ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ. ﴾[9]
- وهو الذي خلق البشر جميعا بيده فهو عز وجل الذي خلق آدم من طين لازب وسواه بيده ونفخ فيه من روحه : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[10]
- وهو الذي خلق الأنعام التي ينعم الإنسان بها ويستفيد من خيرها :﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ [11]

وهذه اليد المباركة هي التي بايع الله بها هؤلاء الأخيار المصطفين من صحابة رسول الله في بيعة الرضوان يوم صلح الحديبية، وجعل الله رسوله صلى الله عليه وسلم نائبا عنه في هذه البيعة ،يبايع المؤمنين ويد الله فوق يد رسول الله:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[12]

- ونهى الله المؤمنين أن يقدموا بين يدي الله أو يدي رسوله، فالأدب مع الله ورسوله يقتضي ألا يتجرأ أحد ولا يتعدى أو يتطاول بقول أو فعل على أمر الله وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[13] نرى في هذه الآية أن الله عطف يد رسول الله على يديه سبحانه تكريما وتشريفا لرسول الله.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

وقد تجرأ بنو إسرائيل على نعت يد الله بأنها بخيلة ومغلولة عن العطاء تعالى الله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.﴾ [14]

إن الله قد بسط النعمة على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً وأخصبهم ناحية، فلما عصوا الله في شأن رسول الله وكذبوه كفَّ الله عنهم ما بسط عليهم من النعمة، فعند ذلك قالت اليهود ﴿ يد الله مغلولة ﴾ أي مقبوضة ممسكة عن العطاء وغل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك إلى إثبات يد وغل أو بسط قال الله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ﴾أي لا تمسكها عن الإنفاق[15].

وقال الإمام الزمخشري "غلّ اليد" وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط، ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازاً عنه لأنهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة، حتى أنه يستعمله في ملك لا يعطى عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها، ولو أعطي الأقطع إلى المنكب عطاء جزيلاً لقالوا: ما أبسط يده بالنوال، لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود، وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقول لبيد:[16]

وغداة ريحٍ قَد كَشفَت وَقَرَّة	إذَا أَصبَحَت بيَدِ الشِّمال زِمَامُها[17]

والنكتة في استعمال الزمخشري "اليد" مجازاً في قوله: "غل اليد وبسطها مجاز على البخل والجود..." هو تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلزمُها غالِبَاً .ولا شيء أَثبتُ من الصورة الحسية في الذهن؛ فلما كان الجود والبخل معنيين لا يدركان بالحس ويلازمهما صورتان

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

تدركان بالحس وهو بسط اليد للجود وقبضها للبخل عبَّر عنهما بلازمهما لفائدة الإيضاح والانتقال من المعنويات إلى المحسوسات.[18]

ويصادفك قول أحمد الإسكندري إذ علل لما ثنيت" اليد" في قوله تعالى: ﴿بل يداه﴾ وهي مفردة في قولهم ﴿يد الله﴾ قائلا: "لأنه لما كان المعهود في العطاء أن يكون بإحدى اليدين وهي اليمين، وكان الغالب على اليهود اعتقاد الجسمية، جاءت عبارتهم عن "اليد" الواحدة المألوف منها العطاء فبيَّن الله كذبهم في الأمرين في نسبة البخل وفي إضافته إلى الواحدة، تنزيلاً منهم على اعتقاد الجسمية، بأن ينسب إلى ذاته صفة الكرم المعبر عنها بالبسط، وبأن أضافته إلى اليدين جميعاً لأن كلتا يديه يمين ،كما ورد في الحديث تنبيها على نفي الجسمية، إذ لو كانت ثابتة جل الله عنها لكانت إحدى اليدين يميناً والأخرى شمالاً ضرورةً. فلما أثبت أن كلتيهما يمين نفي الجسمية وإضافة الكرم إليهما، لا كما يضاف في الشاهد إلى اليد اليمنى خاصة، إذ الأخرى شمال وليست محلاً للتكرم [19]

وقيل "اليد" هنا أيضا بمعنى النعمة وأريد بالتثنية نعَم الدنيا ونعم الآخرة أو النعم الظاهرة والنعم الباطنة أو ما يعطى للاستدراج وما يعطى للإكرام، وقيل وروى عن الحسن أنها بمعنى القدرة كاليد الأولى وتثنيتها باعتبار تعلقها بالثواب وتعلقها بالعقاب وقيل المراد من التثنية التكثير كما في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ.﴾[20]

ومن هنا اعتبر سلف الأمة رضي الله تعالى عنهم، أن هذا من المتشابه وتفويض تأويله إلى الله تعالى هو الأسلم، وقد صحَّ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه أثبت لله عزَّ وجل يدين، وقال وكلتا يديه يمين، ولم يرو عن أحد من أصحابه صلى الله تعالى وسلم عليه وعليهم، أنه أوَّل ذلك بالنعمة أو بالقدرة بل أبقوها كما وردت وسكتوا ولئن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، لا سيما في مثل هذا الموطن[21]

وقد قال بعض أهل النظر في معنى "اليد" في غير هذه المواضع: إنها قد تكون بمعنى القوة، قال الله: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[22] أي ذا القوة ؛وقد تكون بمعنى الملك والقدرة، قال الله: ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾[23] وقد تكون بمعنى النعمة، تقول العرب: كم يد لي عند فلان، أي كم من نعمة لي قد أسديتها إليه؛ وقد تكون بمعنى الصلة،

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

قال الله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾[24]أي مما عملنا نحن، وقال جلّ وعلا من قائل:﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾[25] أي: الذي له عقدة النكاح؛ وقد تكون بمعنى الجارحة قال الله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ﴾[26]. فأما قوله: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[27] فلا يجوز أن يحمل على الجارحة، لأن الباري جل جلاله واحد، لا يجوز عليه التبعيض، ولا على القوة والملك، والنعمة والصلة لأن الاشتراك يقع حينئذ بين وليه آدم وعدوه إبليس، فيبطل ما ذكر من تفضيله عليه لبطلان معنى التخصيص، فلم يبق إلا أن يحملا على صفتين تعلقتا بخلق آدم تشريفا له، دون خلق إبليس تعلق القدرة بالمقدور...

ثم قال عز وجل: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[28]السماء مفعول لفعل محذوف والتقدير، وبنينا السماء، وقوله: ﴿بأيد ﴾ أي: بقوة، كما قال الله تعالى:﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾[29]فالأيد هنا أي القوة، وليست جمع يد كما يتوهم بعض الناس، ويظنون أن الله تعالى بنى السماء بيديه عز وجل؛ لأن الأيد هنا مصدر آد يئيد، بمعنى القوة، كما يقال باع يبيع بيعاً، ولهذا لم يضف الله هذه الكلمة إلى نفسه الكريمة كما أضافها إلى نفسه الكريمة في قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾[30] فمن فسّر الأيد بالقوة هنا فإنه لا يقال: إنه من أهل التأويل الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، بل هو من التأويل الصحيح.[31]

ثانيا: أيدي الأنبياء عليهم السلام:

أ- يد موسى عليه السلام:

إذا تمعنا داخل التعبير القرآني، فإننا سنجد هذه "اليد" قد حازت بالنصيب الأوفر من الذكر، وارتبط ذكرها بموسى عليه السلام باعتبارها معجزة في ذاتها، أرسلها الله مع صاحبها إلى فرعون ضمن تسع آيات، فهي يد يخرجها موسى عليه السلام من جيبه فتخرج من غير مرض ولا برص لكنها بيضاء من غير سوء.

وقد وردت هذه" اليد" في القرآن الكريم خمس مرات:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

- فهي تخرج بيضاء إذا ضمها إلى جناحه: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾[32]
- وإذا أدخلها في جيبه خرجت بيضاء من غير سوء:﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[33]
- وإذا سلكها في جيبه خرجت بيضاء من غير سوء: ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾.[34]
- وإذا نزعها فهي بيضاء ساطعة للناظرين: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ﴾.[35]

أي جذب يده، قيل: من جيبه، وهو الظاهر لقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[36] وللناظرين أي للنظارة، وفي ذلك تنبيه على عظم بياضها لأنه لا يعرض العجب بها للنظارة إلا إذا كان بياضها عجيبا خارجا عن العادة. "وقال ابن عباس: صارت نوراً ساطعاً يضيء ما بين السموات والأرض له لمعان مثل لمعان البرق فخروا على وجوههم، وما أعجب أمر هذين الخارقين العظيمين: أحدهما في نفسه وذلك اليد البيضاء والأخرى في غير نفسه وهي العصا التي يمسكها بيده".[37]

ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى أن هناك في القرآن الكريم مواضع أخرى يقصد منها "اليد" ولكن بدون ذكر كلمة (اليد)، وإنما يستعار لفظ اليمين للدلالة عليه، من ذلك: يد موسى عليه السلام التي كانت تمسك على العصا: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[38]. ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[39]

ب – يد محمد صلى الله عليه وسلم:

وردت يده صلى الله عليه وسلم مرة واحدة، وذلك حينما أمر الله عز وجل بتعزيره وتوقيره فأمر المؤمنين بألا يقدموا بين يديه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [40] بينما وردت في القرآن الكريم يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

- فقد جاءت لتدلّ على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يكتب بيديه :﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[41]
- وجاءت لتدلّ على ما كان يملك من الجواري في موضعين :﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ. ﴾[42] وقوله تعالى:﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا.﴾[43]

ج – يد بقية الأنبياء رضوان الله عليهم:

معلوم أنه قد جاء داخل التعبير القرآني وصف أنبياء الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنهم ﴿أولي الأيدي﴾، وقد خص لفظ "اليد" هنا بتعبير بليغ معناه أن أصحاب هذه الأيدي ذووا فضل وإنفاق وكرم: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ.﴾[44] يقصد بقوله تعالى "أولي الأيدي "معنى القوة في الطاعة والبصيرة في الدين، أي أولي الأعمال الجليلة، والعلوم الشريفة. فعبَّر بالأيدي عن الأعمال؛ لأن أكثرها تُباشر بها، وبالأبصار عن المعارف؛ لأن أقوى مبادئها، وفيه تعريض بالجهلة الباطلين، وتوبيخ على ترك المجاهدة والفكرة مع تمكُّنهم منهما[45]

أما في ما يخص نبي الله سليمان عليه السلام فقد وردت كلمة "يديه" داخل التعبير القرآني لإبراز مدى سيطرتها على ما سخره الله عز وجل من خلقه لخدمته عليه السلام ليعملوا بين يديه: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ .[46]

أما بالنسبة لنبي الله أيوب عليه السلام الذي اشتد عليه المرض، فقد أجرى الله عز وجل على يديه الشريفة الشفاء،﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[47]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

كما وردت اليد اليمنى لإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾.[48] فقد تجرأت يده الكريمة على أن تسقط تماثيل الكفر التي يعتبرها قومه آلهة تعبد من دون الله تعالى.

د – دلالات أخرى لليد داخل التعبير القرآني:

لا شك أن الحديث عن الدلالات الأخرى "لليد" داخل التعبير القرآني سيدفعنا لا محال إلى الوقوف على أول يد سجلها القرآن الكريم في التاريخ الإنساني، وهي تلك اليد التي امتدت لقتل شقيقها فتسجل بذلك أول جريمة قتل في تاريخ الإنسان، وهي التي ذكرها الله عز وجل في قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ.﴾[49] ويد أخرى لم تتعدّ حدود ربها لكي تدافع على نفسها، ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ .﴾ [50]

وهذه أيد أخرى قد ذكرها الله عز وجل في قوله:﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[51] قد امتدت لتسد أفواه الدعاة، وتمنعهم من تبليغ الحق وإصرارها على كتم دعوة الحق في الأفواه.

وأيد أخرى قد عض عليها الكفار من الندامة والحسرة يوم الحساب لعدم استماعهم لدعوة الرسل قال تعالى: ﴿ ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[52] روي عن ابن عباس أن الظالم المقصود في هذه الآية هو أبي بن خلف وفلان عقبة، وعض اليدين إما على ظاهره، وروي ذلك عن الضحاك، وجماعة قالوا: يأكل يديه إلى المرفق ثمَّ تنبت، ولا يزال كذلك كلما أكلها نبتت، وإمَّا كناية عن فرط الحسرة والندامة وكذا عض الأنامل واليدين والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الأسنان والأرم، وفي المثل: يأكل يديه ندماً ويسيل دمعه دماً وقال الشاعر:

أبى الضيم والنعمان يحرق نابه	عليه فأقضى والسيوف معاقله[53]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

في هذه الآية تعبير حسي بليغ إذ صوَّر الله عز وجل حالة هذا الظالم الذي عبر عن تحسُّره وتأسفه من جراء تكذيبه وكفره.

أما أصابع اليد فقد ذكرت في قوله تعالى: .﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾.[54] حيث امتدت إلى الآذان لتحجب سماع دعوة الحق .

وأصابع أخرى امتدت لتسد آذان الكفار ظنا منهم أنهم بهذه الطريقة سينجمون من سماع صوت هذه الصواعق المحيطة بهم من كل جانب[55]. ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾[56].

وليس أبلغ من التعبير القرآني العظيم في وصف طبيعة اليد في هذا المشهد العظيم: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.﴾[57] حيث أنها سوف تنطق بالحق وتشهد على صاحبها بكل ما قدمت يداه: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[58]

وتدلّ اليد داخل التعبير القرآني كذلك على الإنفاق إسرافا كان أو تقتيرا: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾.[59] عن علي بن إبراهيم، قال: فإن سبب نزولها أن رسول الله كان لا يرُد أحداً يسأله شيئاً عنده، فجاءه رجل فسأله فلم يحضُره شيء، فقال: يكون إن شاء الله. فقال: يا رسول الله، أعطيني قميصك؛ وكان صلى الله عليه وسلم لا يردّ أحداً عمَّا عنده فأعطاه قميصه فأنزل الله هذه الآية فنهاه أن يبخل أو يسرف ويقعدَ محسوراً من الثياب[60] ففي هذه الآية دعوة لمنع الشحيح وإعطاء المسرف، وأمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والتقتير ﴿ فتقعد ملوما﴾ فتصير ملوماً عند الله، لأن المسرف مرضي عنده وعند الناس، ويجوز أن يريد البسط والقبض إنما هما من أمر الله الذي الخزائن في يده، أما العبيد فعليهم أن يقتصدوا، ويحتمل أنه – عزَّ وعلا– بسط لعباده أو قبض، فأنه يراعي أوسط الحالين، لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده، ولا بالمقبوض عليه أقصى مكروهه[61]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

وعلى هذا فإن "اليد" قد استعملت في هذه الآية كناية عن شدة الإمساك والبخل، فتنفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي.[62]

وفي قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[63] فالمراد باليد هنا يد المعطي وهي يد مؤاتية غير ممتنعة لأن من أبى وامتنع لم يعط يده. وذلك بخلاف المطيع المنقاد، ولذلك يقال: أعطى يده إذا انقاد وأطاع. وقيل: حتى يعطوها عن يد إلى يد نقدا غير نسيئة ليس مبعوثا عن يد أحد ولكن عن يد المعطي إلى يد الآخذ.[64]

وعلى هذا فإن قوله تعالى: "عن يد" معناه عن قهر وذُل، كما تقول؛ اليد في هذا لفلان؛ أي الأمر النافذ لفلان، وقيل عن يد، أي عن إنعام عليهم بذلك، لأن قبول الجزية منهم وترك أنفسهم عليهم انعام عليهم، ويد من المعروف جزيلة. وهكذا يمكن أن تتراءى لنا أهم أقوال المفسرين في قوله تعالى:﴿ حتى يعطوا الجزية عن يد﴾ في خمسة عشر قولاً :[65]

الأول: أن يُعطيها وهو قائم والآخذ جالس؛ على حد قول عكرمة.

الثاني: يُعطونها عن أنفسهم بأيدهم يمشون بها؛ على حد قول ابن عباس.

الثالث: يعني من يده إلى يدِ آخذه، كما تقول: كلَّمته فمًا لفم، ولقيته كفًّة كفَّة، وأعطيته يداً عن يدٍ.

الرابع: عن قوة منهم.

الخامس: عن ظهور.

السادس: غير محمود ين ولا مدْعوّ لهم.

السابع: توجأ عنقه.

الثامن: عن ذُلٍ.

التاسع: عن غنًى.

العاشر: عن عهدٍ.

الحادي عشر: نقداً غير نسيئة.

الثاني عشر: اعترافا منهم أن يدَ المسلمين فوق أيديهم.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

الثالث عشر: عن قهرٍ.

الرابع عشر: عن إنعام بقبولها عليهم.

الخامس عشر: مبتدئاً غير مكافئ.[66]

وقد اعتبر الإمام ابن العربي هذه الأقوال منها متداخلة ومنها متنافرة وترجع إلى معنيين: أحدهما: أن يكون المراد باليد الحقيقة، والآخر: أن يكون المراد باليد المجاز، فإن كان المراد الحقيقة فيرجع إلى من قال: إنه يدفعها بنفسه غير مُستنيبٍ في دفعها أحدا. وأمَّا جهة المجاز فيحتمل أن يريدَ به التعجيل، ويحتمل أن يريد به القوة، ويحتمل أن يريد به المنَّة والإنعام.[67]

وقد استدلّ بهذه الآية الجمهور الذين يقولون: لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، لأن الله لم يذكر أخذ الجزية إلا منهم.

وأمَّا غيرهم فلم يذكر إلا قتالهم حتى يسلموا، وألحق بأهل الكتاب في أخذ الجزية وإقرارهم في ديار المسلمين، المجوس، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر، ثم أخذها عمر من الفرس المجوس. وقيل: إن الجزية تؤخذ من سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، لأن هذه الآية نزلت بعد الفراغ من قتال العرب لمشركين، والشروع في قتال أهل الكتاب ونحوهم، فيكون هذا القيد إخباراً بالواقع، لا مفهوم له.[68]

إلى جانب هذه الأيدي فإن في القرآن الكريم أيد أخرى:

1/ قد تعرضت للقطع إما لأنها قد قدمت سخية في سبيل نصرة الحق، وهذه هي أيدي المؤمنين من سحرة فرعون الذين تسلل الإيمان إلى قلوبهم فكان مصيرهم مقابل هذا الإيمان بالله عز وجل هو أن تقطع أيديهم: ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.[69]

2/وإما لأن هذه اليد فاجرة تستحق القطع لأنها وظفت في ما لا يحبه الله عز وجل من السرقة أو السعي في الفساد كما هو الشأن في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.[70]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

3/ويد قد استحقت العذاب لما تكنه لرسول الله والمؤمنين من التنكيل وتجرئها على الحق وتطاولها على رسول الله وهي يد أبي لهب الذي ذكر خلوده في النار بسبب ما قدمت يداه: ﴿تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[71]

4/ويد قد قدمت رخيصة لتقطع بلا غاية ولا هدف، وذلك حين تجمعت النسوة ليشاهدن هذا الشاب الوسيم الذي هامت به امرأة العزيز وأحبته حبا شديدا، فجلسن ينظرن إليه غير منتبهات للسكين في أيديهن... لأن أنظارهن كانت مشدودة إلى رؤية نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [72].

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن "اليد" تكتسي أهمية بالغة في الحروب والمعارك كما يؤكد ذلك التعبير القرآني في مواضع عدة، إذ أنها هي الوسيلة التي يجعلها الله لتكون أداة القوة لتحقيق أمره عز وجل في عذاب الكافرين وخزيهم:﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[73] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[74]

واليد كذلك هي التي حقق الله عن طريقها انتصار المؤمنين على اليهود بعد أن خانوا العهد والميثاق، وتربصوا بالمؤمنين، وتحصنوا بالحصون والقلاع، ورفضوا أن يعيشوا جنبا إلى جنب مع المؤمنين، فكان نصر الله للمؤمنين على هؤلاء اليهود، وانتهت الحرب بأن دمرت حصونهم وقتل رجالهم وسبيت نساءهم وأطفالهم، فكان خراب بيوتهم نتاج لما جنته أيديهم، وكان هذا الدمار الذي حلَّ بهم واقع بأيديهم قبل أن يكون بأيدي المؤمنين الذين قاتلوهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾[75]

ويعبر كذلك عن الحرب حينما تضع أوزارها بكف الأيدي قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّواْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾[76] والأيدي كذلك هي التي بواسطتها يتم القبض على الأسرى في الحرب قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[77]

ومعلوم كذلك أن لليد أدوارا عديدة في الشريعة تتمثل في:

أولا: أن الله أمر في أكثر من موضع بغسل اليدين قبل الدخول في الصلاة، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾[78]

ثانيا: حين يتعذر الوصول إلى الماء فيقتضي الأمر التيمم الذي يكون بمسح اليد والوجه بالتراب الطاهر، قال تعالى: ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[79].

ويمكن أن نضيف كذلك بعد تتبعنا لكلمة "اليد" داخل التعبير القرآني أن اليد هي الوسيلة التي يستطيع الإنسان من خلالها القيام بمجموعة من الأعمال الإنسانية، فباليد يمكننا أن:

1. نكتب يقول تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ.﴾[80]
2. نزرع قال تعالى: ﴿ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون.﴾[81]
3. نصطاد، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ.﴾[82]
4. نأكل فهي الوسيلة الوحيدة التي يمكن الإنسان عن طريقها الحصول على قوة عيشه قال تعالى: ﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ. ﴾[83]
5. نقوم: – بكل فعل مطلق، لأن كل ما يفعله الإنسان هو عبارة عما قدمته يده: قال تعالى:﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

كُنتُ تُرَابًا ﴾[84]..وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[85] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[86]

- أن نتملك ونتصرف في كل الأمور، قال تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾.[87]
- أن نعتو في الأرض فسادا نتيجة كسب، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.[88]

وعلى هذا التحديد فإننا إذا تمعنا داخل القرآن الكريم، فإننا سنجد كلمة "اليد" قد استخدمت استخداما زمانيا ومكانيا يتراءى من خلاله أن للقرآن الكريم ما هو بين يديه وما خلفه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[89] وقوله تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾،[90] وقوله تعالى: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[91]

وكما أن للقرآن ما بين يديه وما خلفه فإن للإنسان كذلك ما بين يديه وما خلفه، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾،[92] وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾،[93] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.﴾[94]

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن في القرآن الكريم مواضع عدة قد جاء التعبير فيها عن "اليد" بكلمة "اليمين" للدلالة على اليد اليمنى وقد سميت "اليد اليمين" باليمنى لقوتها و دقتها وقدرتنا على الاعتماد عليها في العمل عند غالبية الناس، وسميت "اليد الشمال" باليسرى لأنها أقل قدرة ودقة عند غالبية الناس فتستعمل للمساندة والتيسير لليد اليمنى في عملها، وبناءً

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

عليه نسبت باقي الأعضاء حسب مكان وجودها على الجسم بأعضاء اليمين والشمال. وقد تعدى هذا المعنى في مواضع أخرى إلى دلالات ومعاني منها:

1- اليمين: تطلق على"اليد" مجازا ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾.[95]

2- اليمين: البركة والعمل الصالح واليُمن: ضده الشؤم ﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾.[96]

3- واليمين: كاتجاه ضد الشمال يقول تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾،[97] وقوله تعالى: ﴿فأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ﴾.[98]

4-واليمن: هي القسم والحلف، لأن الإنسان حينما يريد أن يقسم على شيء فإنه يمدّ يده اليمنى أو يرفعها إلى الأعلى وقت القسم، لهذا استخدمت كلمة "اليمن" في القرآن في مواضع كثيرة للدلالة على الحلف، قال تعالى: ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[99] وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ﴾.[100]

الخاتمة:

ختاما، يمكننا إجمال ما وصلنا إليه من نتائج في النقاط الآتية:

1- اليد عضو من أعضاء الجسد الإنساني أشار إليها القرآن الكريم في الكثير من آياته بصيغ متعددة إفرادا وتثنية وجمعا واتصالا بضمائر، وقد دلّت في التعبير القرآني على معان كثيرة يفرضها السياق.

2- إن القرآن الكريم قد حوى في الكثير من سوره تردد لفظة "اليد" وحركاتها التعبيرية، فوظفها توظيفا بيانيّا يتوافق وسياق الآية التي جاء فيها، ممّا يؤكد أن لغة التواصل ليست الكلام المنطوق بواسطة جارحة اللسان فحسب، بل حتى حركات باقي أعضاء الجسد بما فيها "اليد" تعدّ أدوات مساعدة على توصيل المعنى أو تأكيده.

3- استطاعت "اليد" بحركاتها في التعبير القرآني أن تكون لغة صامتة، توازي المنطوق، بل تتعدّاه في سياقات اتصالية.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

4- نجحت حركات اليد في التعبير القرآني في توصيل المعنى أو تتميمه أو الاستقلال به انزياحا وعدولا، فأكدت قدرتها على إحداث التأثير في المتلقي وشد انتباهه.

5- أضفت "اليد" وحركاتها في التعبير القرآني طابعا جماليا أرخى بضلاله على الدلالة والأغراض لا تسلم نفسها إلا للمتدبر لآياته.

الهوامش:

1- مختار الصحاح ،أبو بكر بن عبد القادر الرّازي، تحقيق يوسف الشيخ محمد، بيروت المكتبة العصرية ،2001م، ص348-349

معجم تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن محمد الأزهري، تحقيق رياض زكي قاسم ،دار المعرفة بيروت،2001م، ط1، المجلد الرابع، ص 3973-3974.

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت 1999م، المجلد6، ص151-152

لسان العرب، ابن منظور المصري، دار صادر للطباعة والنشر بيروت،1956م، المجلد الخامس، ص419-424 .

2- سورة الشورى، الآية:11.

3- سورة آل عمران، الآية:73.

4- سورة آل عمران، الآية:26.

5- سورة يس، الآية:83.

6- سورة الملك، الآية:1.

7- سورة الأعراف، الآية:57.

8- سورة الفرقان، الآية:8 4.

9- سورة النمل، الآية :63.

10- سورة ص، الآية:75.

11- سورة يس، الآية:71.

12- سورة الفتح، الآية: 10.

13- سورة الحجرات، الآية:1.

14- سورة المائدة، الآية:64.

15- تفسير روح البيان، إسماعيل حقي، دار الفكر ،المجلد الثاني، ص 414.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

16- تفسير الكشاف، أبو القاسم الزمخشري، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت المجلد2 ط3، ص641-642.
17- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق حنا نصر الحتى، دار الكتاب العربي 1993، ص 315
18- تفسير الكشاف، أبو القاسم الزمخشري، ص641-643.
19- المصدر نفسه، ص 643.
20- سورة الملك، الآية 4.
21- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمد الألوسي، ص 162.
22- سورة ص، الآية 17.
23- سورة آل عمران، الآية 73.
24- سورة يس، الآية 71.
25- سورة البقرة، الآية 237.
26- سورة ص، الآية 44.
27- السورة نفسها، الآية 75.
28- سورة الذاريات، الآية 47.
29- سورة النبأ، الآية 12.
30- سورة يس، الآية 71.
31- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر بيروت، ص 576 بتصرف
32- سورة طه الآية 22.
33- سورة النمل الآية 12.
34- سورة القصص، الآية 32.
35- سورة الأعراف، الآية 108.
36- سورة النمل، الآية 12.
37- تفسير النهر الماد من البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تقديم وضبط بوران وهديان الضناوي دار الجنان1987، ط.1،الجزء الأول، ص846.
38- سورة طه، الآية 17.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

39- السورة نفسها، الآية 69.
40- سورة الحجرات، الآية 1.
41- سورة العنكبوت، الآية 48.
42- سورة الأحزاب، الآية 50.
43- السورة نفسها، الآية 52.
44- سورة ص، الآية 45.
45- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، محمد بن عجيبة ،تحقيق وتعليق أحمد عبد الله القرشي رسلان، طبع على نفقة د. حسن عباس زكي، القاهرة 2000م، المجلد الخامس، ص34.
46- سورة سبأ، الآية 12.
47- سورة ص، الآية 44.
48- سورة الصافات، الآية 93.
49- سورة المائدة، الآية 27.
50- السورة نفسها، الآية 28.
51- سورة إبراهيم، الآية 9.
52- سورة الفرقان، الآية 27.
53- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمد الألوسي، ص8.
54- سورة نوح، الآية 7.
55- اليد في ضوء القرآن والسنة، عبد الباقي فهمي، ص25 .بتصرف.
56- سورة البقرة، الآية 19.
57- سورة النور، الآية 24.
58- سورة يس، الآية 65.
59- سورة الإسراء، الآية 29.
60- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، حققه لجنة من العلماء، مؤسسة الأعلمي1999م، المجلد4، ط1، ص555.
61- تفسير الكشاف، أبو القاسم الزمخشري، ص632.
62- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، ص456.
63- سورة التوبة، الآية 29.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

64- التفسير الشامل للقرآن الكريم، أمير عبد العزيز، مطبعة دار السلام ،المجلد الثالث، الطبعة الأولى/2000، ص1467 .
65- أحكام القرآن، ابن العربي، دار الكتب العلمية، علق عليه محمد عطا، المجلد1 ، الطبعة3، ص379.
66- المصدر نفسه، ص379.
67- المصدر نفسه، ص379.
68- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، ص 334.
69- سورة الأعراف، الآية 124.
70- سورة المائدة، الآية 38.
71- سورة المسد، الآية 1.
72- سورة يوسف، الآية 31.
73- سورة التوبة، الآية 14.
74- سورة المائدة، الآية 11.
75- سورة الحشر، الآية 2.
76- سورة النساء، الآية 91.
77- سورة الأنفال، الآية 70.
78- سورة المائدة، الآية 6.
79- السورة نفسها، الآية 6.
80- سورة البقرة، الآية 79.
81- سورة يس، الآية35.
82- سورة المائدة، الآية 94.
83- سورة يس، الآية 35.
84- سورة النبأ، الآية 40.
85- سورة آل عمران، الآية 182.
86- سورة الروم، الآية 36.
87- سورة البقرة، الآية 237.
88- سورة الروم، الآية 41 .

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705

89- سورة البقرة، الآية 97.
90- سورة المائدة، الآية 48 .
91- سورة فصلت، الآية42.
92- سورة سبأ، الآية 9 .
93- سورة طه، الآية 110.
94- سورة المجادلة، الآية 12 .
95- سورة طه، الآية 17 .
96- سورة البلد، الآية 18 – 19.
97- سورة الكهف، الآية 18.
98- سورة الحاقة، الآية 19.
99- سورة البقرة، الآية 225.
100- سورة المائدة ، الآية 53 .

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/705